القرآن
وما قيل عن
نشوء وارتقاء الإنسان

■■ يقول الله عز وجل :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (ص: ٧١-٧٢) .

ويقول جل شأنه :

﴿ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (التغابن : ٣) ■■

بقلم : سعد عوض المر

خلق الله الإنسان إنساناً منذ البداية

لقد خلق الله آدم من تراب ثم مزجه بالماء ثم صوره على تلك الهيئة التي نراها في أنفسنا الآن : ﴿ **وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ** ﴾ (التغابن : ٣) ، ثم خلق من نفس آدم حواء ليستأنس بها ويأتنس ، وحتى يشعر كل واحد منهما بحنين نحو الآخر واشتياق : ﴿ ... **الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجالاً كثيراً وَنِسَاءً** ﴾ (النساء : ١) .

ومما يجب التنويه عنه أنه عز وجل لم يكتف بإخبارنا أنه قد خلق الإنسان من تراب بل وصف لنا خطوات اكتمال خلقه بصورة تفصيلية ودقيقة حسب تسلسلها الزمني (**لعلمه الأزلي أن إنسان القرن الثامن عشر سيحلو له يوماً أن يغرق بفكره إلى الحضيض في مستنقع مظلم تعيش فيه القرود حيث تكفن كرامته وتدفن في قبور من الأوهام والظلام**) .

وهل هناك شك في قدرة الله تعالى على الخلق المباشر ؟ إنه عز وجل يخلق ما يشاء كيفما ووقتما يريد (**بالكاف والنون**) ، وكيف لنا أن نتصور أنه قد أمر ملائكته بالسجود لكائن ما في صورة أدنى من هذا الإنسان ؟ ذلك الذي كرمه ورفع له طعامه وعدده ، وحمله الأمانة وخوّله الخلافة ، وأعطاه عقلاً ومنحه من أجل ذلك حرية الاختيار ﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ (ص: ٧١-٧٢) .

ماذا يضر حين نبث أفكار داروين ومؤيديه في عقول أبنائنا ؟

لقد جاء بعض العلماء من كل صوب من هذا الغرب بصوت واحد أو يكاد ، كل منهم يدلي بدلوه فيسكب مِن فِيهِ ببعض ما فيه من مكر وفكر ، وعلى الرغم من أنهم في الرأي متفرقون ... إلا أنهم جميعاً في هدفهم متفقون على أن (**الإنسان لم يكن إنساناً**) وإن اختلفت نغمات أصواتهم .

وإننا قبل أن نفند أو ننقد ما قالوا يجب علينا أولاً أن نعدد - بإيقاع سريع - ما توصلوا إليه ، حتى لا نمكث معهم كثيراً في هذا القاع ، لأن أقوالهم - ويا للأسف - قد أصبحت كبعض الحقائق في المدارس تدرس وكأنها أضحت كالأحياء تحت الشمس بين الناس تتنفس .

إننا يجب أن نأخذ بأيدي أبنائنا فلا نتركهم حيارىٰ تائهين بين ما (**يؤمنون وما يدرسون**) فلا نطلب منهم أن يتجرعوا علوماً تتعارض صراحة مع نصوص هذا **القرآن الكريم** دون أن نبين لهم الحجة مقروعة بالحجة كي لا تتعلق عقولهم بها وهي واهية ، أو تتأرجح سفنهم بين أكف الهوىٰ وتلك الأمواج العالية فتتقطع بسببها بعض حبائل إيمانهم .

الأساس الذي قامت عليه نظريات التطور

إن ما تمخضت به عقول أصحاب هذه النظريات ما هو إلا خرافات أو انحرافات فكرية قد انطبعت ، أو أطياف خيال قد مرت في خواطر قائليها فاختمرت ثم فاحت رائحتها وانتشرت .

ومن ثم لا مانع أن نسمعها لأننا لا نخشى أن نعلمها ، بشرط ألا يفرض علينا أن نحفظها أو نتعلمها ، ولا يتأتى ذلك إلاَّ إذا أوضحنا أباطيلها في الوقت نفسه الذي فيه تدرس حتى لا تعطى الفرصة للشيطان يوسوس ﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً** ﴾ (الرعد : ١٧) .

يكفيها ما قيل فيها خاصة من بعض مروجيها :

حقاً إنها لنظريات قد حشرت بين سطور العلم ... وماهي بعلم ، إنها همسات شياطين قد زج بها في رؤوس مرديها زجاً ، فنشروها بعد أن

عطروها ببريق الكلام ثم زينوها بسحر البيان ، وياليتهم قالوا لمن تعلموها إنها لا تستند على حجة ملموسة أو براهين مدروسة سوى تلك الحلقة المفقودة .

ولعل خلاصة ما قيل فيها هو ما ورد على لسان أحد من كانوا يسبحون بحمدها وواحد من أقطابها الذين هللوا لها ولوحوا بأعلامها .. إنه العالم المادي (**سير/ آرثر كيث**) الذي قال فيها :

(إن نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علمياً ، ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان ، ونحن نؤمن بها لأن الخيار الوحيد بعد ذلك هو الإيمان بالخلق المباشر ، وهذا ما لا يمكن حتى التفكير فيه .

وأخيراً شهد شهود من أهلها . . .

إن مولد هذه النظريات كان في الغرب ، بعد أن حملت بها بطون عقول بعض علمائه حقبة طويلة من الزمان بل وإلى الآن ، لكننا نستطيع أن نطوف معاً في هذا العالم الغربي نفسه ، فنقرأ بعض آراء علماء آخرين فيه باعتبارها معاول هدم حطمت أساس تلك الخزعبلات : قال **فرخو** :

إنه يتبين لنا من الواقع أن بين الإنسان والقرد فرقاً بعيداً ، فلا يمكن أن نحكم بأن الإنسان سلالة قرد أو غيره من البهائم ، ولا يحسن أن نتفوه بذلك) ، وقال **فون يسكوف** :

(إن الفرق بين البشر والقرود أصلي وبعيد جداً) .

وقال **ميفرت** :

(إن مذهب داروين لا يمكن تأييده وإنه رأي من آراء الصبيان) ، وقال **والاس** :

(إن الارتقاء بالانتخاب الطبيعي لا يصدق على الإنسان ولا بد من القول بخلقه رأساً) ، هذا وقد قال أحد العلماء عنها :

(إن أباها الكفر وأمها القذارة) .

فكيف لنا بعد ذلك أن نسمح لأنفسنا مختارين غير مجبورين أن نتبع من اتبع هواه فضل وأضل ، ثم أرداه جحوده وضلاله فلم يؤمن بالله العظيم ، كذلك مالنا قد مضينا نحوها فضممناها وتبنيناها بعد أن أنكر بنوتها وشرعيتها أخوالها وعشيرتها قبل أن نهيم بها .

أهم نظريات النشوء والارتقاء :

إنه يمكننا إطلاق اصطلاح (**التطور العضوي**) على جميع النظريات التي سنتناولها في موضوعنا هذا ، تلك النظريات التي اقترنت بأسماء من قالوها فاجتهدوا في دائرتها وسبحوا في مدارها دون أن يخترقوا أو ينفلتوا من فلكها .

ولعلنا نستطيع أن نقول أيضاً : إن جميع هذه النظريات تشترك معاً في تأكيد أن كل نوع من تلك الكائنات الحية قد نشأ عن نوع سابق له في الوجود وأبسط منه في التركيب في سلسلة متصلة تصل بداية حلقاتها إلى تلك الكائنات وحيدة الخلية .

نظرية الكوارث لجورج كوفييه (١٧٦٩-١٨٣٢)

هي تلك التي قرر فيها ذلك العالم : **أنه في كل مرة كانت تحدث كارثة كانت تباد وتفنى بعض أنواع الأحياء لتظهر بدلاً منها أنواع جديدة ، وهكذا يتكرر خلق الكائنات الحية في كل مرة بتكرار الحوادث .**

نظرية التطور العام لـ (لامارك) :

إن هذه النظرية انتسبت إلى ذلك العالم الفرنسي (**لامارك**) الذي توفي عام ١٨٢٩م تلك التي تفيد : **بأن الكائنات نشأت عن غيرها من أخرى غير مشابهة لها ، في عملية تطور متعددة عبر أزمان طويلة كان التغيير فيها أو في بعض أعضائها وفقاً لظروف البيئة الخارجية ، ثم انتقلت هذه التغيرات المكتسبة إلى الجيل التالي له بالوراثة ، هذا وقد استند (لامارك) في تفسيره لهذه النظرية على قانونين هما :**

● أولاً : قانون الاستعمال والإهمال :

ذلك الذي قرر : أن بعض أعضاء الكائن الحي تتغير بالضمور أو الزيادة أو الضعف أو القوة نتيجة لإهماله أو كثرة استعماله ، ثم ضرب عدة أمثلة على ذلك منها :

١ - **نمو واستطالة رقبة الزرافة نتيجة لمحاولاتها المستمرة للوصول إلى غذائها من أوراق الأشجار العالية بعد تعرية الفروع التي هي أدنى منها .**

٢ - **نمو سيقان الطيور التي تعيش في المستنقعات والبحيرات واستطالة مناقيرها ورقابها لاصطياد الأسماك منها .**

● ثانياً : قانون توريث التغيرات المكتسبة :

لقد انبثق هذا القانون كنتيجة لقانون الاستعمال والإهمال حيث قرر أنه بعد ظهور تلك المتغيرات الجديدة التي اكتسبها الأفراد يتم توريثها للجيل الجديد .

نظرية التطور العام لـ (داروين) :

لقد انتسبت هذه النظرية إلى العالم البريطاني (**شارلس داروين**) : تلك التي أطلق بعضهم عليها (**قانون الانتخاب الطبيعي**) أو (**قانون البقاء للأصلح**) ، وهي تفيد :

أن الأفراد الضعيفة تنقرض بسبب عدم استطاعتها مقاومة البيئة ، أو الوقوف أمام أعدائها ، فتبقى منها القوية التي تمتلك صفات جسدية تساعدها على البقاء أمام أي ظروف صعبة ، ثم بعد ذلك تورث صفاتها التي مكنتها من البقاء إلى نسلها من بعدها ، وباستمرار هذه العملية تظهر أنواع جديدة تختلف عن سابقتها .

نقد النظريات :

● نقد نظرية التطور العضوي :

لقد توهم أرباب هذه النظرية وعبيدها أن التسلسل التطوري للكائنات الحية قد بدأ من خلية وحيدة هبطت من السماء ، وأن هذه الكائنات التي تعيش بيننا الآن قد نشأت جميعها عن أنواع سابقة لها في الوجود وأقل منها في الترقي ، لهذا كان لا بد لنا أن نقول لهم : إن كان هذا الذي قلتم حقاً ... فمن ذا الذي خلق هذه الخلية الوحيدة ثم أوجدها على ظهر هذا الكوكب ؟ ثم لماذا لم تصبح هذه الكائنات التي نراها اليوم في صورة واحدة متشابهة .. متناظرة .. متجانسة ؟ خاصة وأنها نشأت جميعها من خلية واحدة ثم مرت بظروف واحدة واحتلت تاريخاً واحداً على جبين هذا الزمان ، ومن ثم كان من الواجب ألا نرى هذا التنوع الهائل لتلك الأحياء إذا ما تماشينا مع نظريات التطور هذه .

القرآن وما قيل عن نشوء وارتقاء الإنسان

● نقد نظرية الكوارث لـ (كوفييه) :

لقد تصور العالم (**كوفييه**) كيف ينشأ أفراد أو أنواع أخرى من ذلك الحطام أو تلك الرمم أو هذه العظام التي كانت جميعها أجساماً تتحرك من قبل أن تدهمها أو تهدمها تلك الكارثة التي سحقتها سحقاً ، وحتى لو افترضنا أن هذه الفجيعة تركتهم أحياء ، فما هي القدرة الذاتية التي استطاع بها هؤلاء أن يقاوموا دون غيرهم ممن ماتوا ؟ اللهم إلا عوامل خارجية لا دخل لهم فيها ، وحتى لو افترضنا أنهم قد اكتسبوا بعض صفات من هذه الكوارث فهل سيورثونها لأحفادهم من بعدهم ؟

لقد سمعنا عن كوارث حدثت هنا وهناك في كل أرجاء العالم منذ آلاف ومئات السنين فأبادت ملايين الناس دون أن نرى بعد ذلك أي أثر لحدوث أي نشوء أو ارتقاء ما لتلك الأنفس التي هلكت سواء أكانت حيواناً أم إنساناً .

● نقد نظريـــة التطور لـ (لامـــارك) :

لقد كفانا العالم **جريجور مندل** (١٨٢٢ ـ ١٨٨٤م) بما توصل إليه ما جاء بهذه النظرية اللاماركية التي ادعت إمكانية توريث الأجيال التالية لتلك الصفات التي اكتسبها أسلافهم ، كذلك العلماء (**توماس مورجان**) و (**دي فريس**) الفرنسي رغم ما يقال عن ذلك (**المستنقع التجمعي المشترك لجينات الجماعة**) ، كما لا ننسى أيضاً تلك الأطواق التي تمسكت بها نساء بورما لإطالة أعناقهن ، كذلك أحذية نساء الصين ، وختان أبناء المسلمين واليهود ، فما رأينا أية طائفة منهم قد ورثت لنسلها أي مظهر مكتسب .

● نقـد قانون الاستعمـال والإهمـال :

إن ما قالوه عن طول أعناق الزرافات بسبب علو ثمارها وأوراق الأشجار ، لا نستطيع أن نطمئن له أو نعقله ، بل .. لا نكتفي بأن نلوح بعدم عقلانية ما رددوا ، لأنهم قد أخطأوا حين توهموا أن الطبيعة قد أبصرت ثم تنحت جانباً فانحنت لتضم بين أحضانها هذا المنتخب لأنه الأقوى والأفضل والأحسن ، بل القادر على مجاراتها ومداعبتها ، ثم نتساءل .. لماذا إذاً لم تمت إناث الزرافات ذات الرقاب القصيرة وقت فناء الزرافات قصيرة الأعناق بسبب جوعها نتيجة لارتفاع مأكلها عن متناول أفواهها ؟ هل نسمع منهم أنها قد ماتت أيضاً ؟ بالطبع لا .. لأن هذا النوع من الكائنات لا يزال موجوداً بيننا ، ولا تزال إناثه تحمل رقاباً قصيرة .

كذلك لا ننسى أن نذكر بأن صغار **الزراف** تبقى قصيرة الرقاب بعد مرحلة الفطام لمدة طويلة لا تتمكن من الوصول إلى تلك الفروع العالية ، فلماذا إذاً لم تمت تلك الصغار ؟ وبالتالي يختفي هذا النوع من الحيوانات على وجه الإطلاق ، كذلك لا يجب أن يغيب عن بالنا أن تلك الغابات لا بد وأن تكون مليئة بالأشجار ذات الأطوال القصيرة ، أو حتى تلك الطويلة التي تنمو على مدار السنة (**فتبدأ بالنمو بالطبع قصيرة** !) ، ومن ثم ستختلف أطوالها باختلاف أزمنة إنبات بذورها .

● نقـد نظرية التطور العام لـ (داروين) :

أولاً : هذه النظرية لا تخضع لتجربة أو مشاهدة :

لقد عرف أحد المعاجم العلمية نظرية داروين بأنها (**نظرية قائمة على تفسير بلا برهان**) بل إن هذه النظرية وأخواتها لا تخضع لأساليب العلم الحديث من ناحية المنهج التجريبي ، فلا يمكن إثباتها حسياً أو مادياً ، أو متابعتها في الحياة ، إذاً هي كأي قصة خرافية أخذت حظاً من الاهتمام .. لكنها تزيد بأنها حصلت على جانب من التصديق ، وفي هذا يقول العالم **سوليفان** :

من الممكن تماماً أن تكون سائر النظريات العلمية باطلة ، ذلك لأن النظريات التي نعتبرها اليوم (حقيقة) ليست إلا قياساً على (وسائلنا المحدودة للملاحظة) ولا تزال قضية الحقيقة في عالم العلم (قضية عملية نفعية) ، ومما هو جدير بالذكر أن لفظ **(حقيقة)** لا ولن يطلق على هذه **(النظرية)** لأنها لا تزال وستظل **(نظرية)** بل نظرة عمياء .

ثانياً : الحلقة المفقودة كيف اختفت يا أنصار داروين ؟

إننا قبل أن نتساءل عن الحلقة المفقودة يجب أن نعرف مقدماً أننا لن نجد في هذا الكوكب من يجيب أو من يستطيع حتى التلميح لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، لهذا يجب علينا أن نتذكر دائماً تلك الحلقة المفقودة إذا ذكرت هذه النظرية أمامنا ، ثم نقول : **أين ذهبت هذه الحلقة ؟ وأين ولت وكيف رحلت ؟ ولماذا لم يعد لها وجود أو أي أثر يذكر ؟ هل اختفت من قبل أن تتطور لتصبح ذلك الإنسان ؟! ولماذا لم تبق ؟**.. كما بقيت تلك القرود ، أما كانت هي الأحق أن تبقى ؟ لأنها كانت هي الأقوى والأفضل والأحسن ، ألم تكن هي الأجدر من تلك النسانيس التي هي أدنى منها في الرتبة ؟

ولماذا كان هذا البقاء هنا لغير الأصلح ؟ ولماذا لم تختف حلقة القرود كتلك الحلقة المفقودة باعتبارها حلقة انتهت من مراحل التطور ؟ ولماذا لم يتطور منها أو ينشأ عنها بعد مضي هذا الزمن الطويل أشباه أفراد تلك الحلقة المفقودة ؟

إننا بهذا الأسلوب نكلمهم بما يفهمون ويعتقدون ونذكرهم بما استندوا عليه وينادون ... ينادون بأن (**البقاء للأصلح**) ولا يتراجعون ، أوليست هذه الحلقة المفقودة هي كل ذلك أو أكثر ؟ بل كانت هي الأكثر تطوراً من تلك القرود منذ زمن بعيد ، فيا ترى هل تعطلت تلك النظرية ؟ أم عتت وبغت فظلمت جيلاً من القرود حين حبسته في صورته أحقاباً وأحقاباً لنراه فيها الآن ؟ ولماذا لم يحظ جيل القرود بشرف هذا الارتقاء ؟ تُرى هل جاملته فأفنت طوراً أرقى منه حتى يبقى هو سيداً ؟ ولو صح ذلك أو صدق هذا ، لكان ذلك هو الظلم بعينه اقترفته يدا هذه النظرية البلهاء ، بل يا لها من فجيعة قد تحطم على أشلائها تمثال العدالة مسحولاً مسحوباً معصوب العينين .

ثالثاً : لماذا وقف التطور عند الشكل الإنساني ؟

عجيب حقاً أن تمر آلاف السنين ولم نر أي تطور ما قد حدث في جسم الإنسان ، أو حتى أية بادرة تشير إلى أي تغيير في أي عضو فيه ، بل يجب أن نتساءل أو نتخيل ما هو الطور الذي سيلي طور ذلك الإنسان ؟ بالرغم من أن هذه المتغيرات البيئية من حوله قد زادت لصالحه بعد أن كيف الكثير لراحته ، أفلم يكن ذلك مرتعاً خصباً لقانون الاستعمال والإهمال ؟! حتى يحكم على كثير من أعضاء جسده بالضمور ، وهل هذا مستساغ ؟

وماذا يا تُرى سوف نرى إذا ما هلك الجنس البشري كله وأصبح حلقة مفقودة ؟ هل ستمحى آثاره كلها كما محيت آثار أصحاب الحلقة المفقودة ؟ ثم كيف سيأتي شكل هذا الطور الجديد ؟ ترى هل سينهض بين عظام وحطام هذه البشرية ورفاتها ؟ أم سيأتزر ثوب الحياة

بأكفانها ؟ لكن أي قوة هذه التي تمتلك تلك المقدرة ؟ إنها قوة الإيجاد الأول .

رابعاً : المشاهدة الإنسانية لم ترصد أي ارتقاء أو أدنى اعتلاء :

لم تشهد البشرية في أي وقت عبر دهور أي كائن ما قد تحول إلى كائن آخر سواء بالتطور أو بالترقي ، خاصة وأنه يوجد علماء متخصصون واقفون بالمرصاد يرصدون أدنى تغير يحدث في المظهر الخارجي لتلك الكائنات أو تركيبها الداخلي (**الفسيولوجي**) لبنيانها الجسدي ، لقد حرص هؤلاء العلماء حقبة طويلة من الزمان أن تتناول علومهم تلك الكائنات بعد أن سجلوا قديماً عنها كل دقائق حياتها ، وها نحن نرى اليوم هذا الحصان الذي كان بالأمس هو نفسه ذلك الحصان ، فأين هذا التطور الذي يحكون عنه ونحكيه عنهم ؟!

خامساً : لماذا هذه اللمسة الجمالية في المخلوقات :

إذا كانت الطبيعة تُبقي حقاً على هؤلاء الأفراد الذين يملكون الصفات التي تؤهلهم لمواءمة البيئة وتساعدهم على مواجهتها ، فلماذا إذاً أبقت على هذا الجمال دون أن تمتصه عند كل تطور ، أو تذيبه أو تختزله عند كل ترقٍ فتجعل الصنف الواحد موحداً والنوع الواحد نمطياً ؟ ولماذا لم تتلاش هذه الصفة من تلك الفراشات ذات الأجنحة الزاهية في ألوانها الرائعة في رسمها إعمالاً بقانون الاستعمال والإهمال ، كذلك لم يفسر لنا داروين أو يجيب ... **لماذا ظل تاج هذا الهدهد قائماً على رأسه حتى الآن ؟ كذلك أسباب جمال هذا الديك المتميز عن الدجاجة ؟ كذلك لم يفسر لنا أسباب وجود بعض الأشجار التي ليس لها فائدة ولا ثمر ولا حتى ظل يذكر لا يمنع من حر ولا من مطر ؟**

سادساً : التنوع الهائل في الخلق ليس له تفسير عند داروين :

يجب ألا ننسى ما ذكرنا في بداية نقدنا لنظرية التطور العضوي بشأن الخلية الوحيدة وما نشأ عنها من تنوع وتعدد في أشكال المخلوقات قبل أن نستدير سائلين داروين أن يعطينا تفسيراً واحداً عن أسباب اختلاف تلك الأشجار المتجاورة التي تكاد تُرى جذورها ضاربة في أعماق واحدة ، وفروعها من فوقها متجاورة في سماء واحدة تتنسم كلها بهواء واحد وتستقي جميعها بماء واحد ، لكنها مع هذا كله تعطي فاكهة مختلفة ألوانها ومذاقاتها ، حتى إننا نفضل بعضها على بعض في الأكل ، فهل تستطيع أن تفسر لنا أسباب ذلك يا داروين ؟ .. عفواً يا أنصار **داروين** .. **فإن داروين قد مات** !!

سابعاً : وحدة الخلق تنطق بوحدانية الحق :

لقد تمسك أنصار نظرية **داروين** عند إثباتها بوجود تشابه عام بين الأحياء في أداء الوظائف الحيوية لكل منها : عن طريق امتلاكها أجهزة متشابهة في التكوين لتحقيق هدف واحد مشترك ، والحقيقة أن هذا السلاح الذي أشهروه يوماً ما هو ما كان يجب أن نوجهه لهم دوماً كسلاح ضدهم ، إذ أنه ليس من المعقول أن يكون التطور قد تم بهذه الحكمة البالغة لتتنوع هذه الأجهزة الهضمية والتنفسية والعصبية ليؤدي كل منها الوظيفة المناظرة المتناظرة ، إن ذلك كله يدل على أن لهذا الكون العظيم إلهاً عظيما واحداً ، كما أنه دليل قوي على وحدانيته .

ثامناً : اكتشاف العلماء لعظام بشرية ترجع لملايين السنين :

لقد نشرت صحف العالم في أوائل نوفمبر عام ١٩٧٢م عن وكالات الأنباء العالمية في واشنطون :

أن العالم (ريتشارد ليكي) أحد أقطاب علم (الانثروبولوجيا) الذي احتل منصب مدير عام المتحف الوطني في كينيا قد تمكن من اكتشاف بقايا جمجمة يرجع تاريخها إلى مليونين ونصف مليون عام ، ولقد نقلت هذه الوكالات العالمية في العام نفسه ، أي منذ حوالي عشر سنوات على لسانه أيضاً : **إن هذا الأثر يمكن أن يقلب ما قيل عن نظريات بشأن تطور الإنسان عن أجداده فيما قبل التاريخ** .

هذا وقد تمكن أيضاً بعض علماء في هذا المجال من اكتشاف عظام جمجمة وساق بشرية ترجع إلى هذه الحقبة نفسها من التاريخ في جبل حجري في صحراء تقع شرقي بحيرة رودلف في دولة كينيا .

فلنعذر بعض العلماء . .
لأن بعض أنواع القرود أصلها إنسان

يقول العالم النشوئي (**آرثر كيث**) :

تقترب كبد الأورانج أشد الاقتراب في تركيبها المتماسك من كبد الإنسان ... وقد عرف أن دم الغوريلا ودم الشامبانزي أقرب استجابة إلى الانفعال بدم الإنسان من جميع الفقاريات .

ولقد كنا نستطيع أن نرد على ذلك العالم ونحدثه بلغته التي يفهمها وبعلمه الذي يعرفه فنقول له : إن هذا التشابه لا يخرج عن القاعدة العامة في وجود وحدة بين سائر المخلوقات تدل على أن الخالق واحد ، حتى وإن كان الظن أنها الطبيعة (**لدى الماديين**) .

لكننا قبل أن نوضح ما نحاول تقريبه يجب أن نتساءل ... **هل كان آرثر مخطئاً فيما توصل إليه من وجود علاقة تشريحية وثيقة بين بعض أنواع القرود والإنسان** ؟ .. كلا إننا نعتقد أن ما توصل إليه صحيح بغض النظر عما استنتج ، فبالرغم من أنه قد أعطى الحقائق السليمة إلا أنه لم يهتد إلى التفسير الصحيح الذي أدى إلى هذا ، لأنه وأعوانه لم يسمعوا قول الله عز وجل :

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (البقرة : ٦٥) ،

وقوله أيضاً :

﴿ ... قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (الأعراف : ١٦٦) .

لهذا نقول لهم : **إن استنادكم التشريحي لتطور الإنسان من قرد ، هو نفسه ذلك الدليل الدامغ الذي يواجهكم في سبيل تصديق هاتين الآيتين اللتين تفيد تحول بعض الآدميين من صورتهم البشرية إلى قرود** ، أي بمعنى آخر : إن هذه الأصناف التي شرحتموها ربما كانت إحداها من نسل هذه المسوخات ، لأن القرود ليست كلها قروداً ، بدليل تفاوت درجات ذكاء كل منها .

يا من أمنتكم الأجيال على مصير أبنائها !!

يا من بالله قد آمنتم ، يا من أَمِنتكم أُمتكم على تعليم فلذات أكبادها ... اتقوا الله وانهضوا وقولوا معنا : يا واضعي المناهج التعليمية اجتنبوها ما استطعتم ، وجنبوا أولادنا تلك الوضيعة ، ولا تضعوها بعد ذلك في عقولهم ، بل ضيعوها ولا تحشروها في الكتب فإن في أحشائها أفكاراً شنيعة :

﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ (المؤمنون : ٧١) .

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ ﴾ (الأنعام : ١١٦) .

وأنتم يا أصحاب هذه النظريات ... تعالوا لتسمعوا قول الله فيكم :

﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴾ (الكهف : ٥١) .

فحمداً لك ياربنا أن بصرتنا ، ثم علمتنا أنك أوجدتنا فسويتنا في أحسن صورة خلقتنا ثم أحييتنا ثم علمتنا ، ثم عرفتنا طريقنا إليك فأقبلنا عليك ، فتقبلنا يا ربنا قبولاً حسناً ولا تخزنا .